مقدمـة

نجلاء نصير بشور*

أولاً: الأهداف

تعالج هذه الدراسة واقع رياض الأطفال في لبنان على ضوء التوجهات العالمية الحديثة والتي تشترك أدبياتها في تحديد خمسة جوانب للمعالجة: أولها، السياسات وتشمل مؤسسات التعليم الرسمية والخاصة وطبيعة دور الدولة. ثانيها، اتساع التعليم ومدى شموله للأطفال من سن ٣-٦ سنوات. ثالثها، جودة التعليم التي تشمل المنهج والبيئة التربوية وطرائق التدريس وقياس النمو والتعلم. رابعها، إعداد المعلمين قبل الخدمة وتدريبهم أثناءها. وأخيراً العلاقة مع الأهل ومدى إشراكهم في العملية التعليمية.

كما تسعى هذه الدراسة إلى إلقاء الضوء على أبرز القضايا المرتبطة بهذه المرحلة التعليمية الأساسية في لبنان، وبالتالي التوصل إلى تحديد التحديات التي تواجه المعنيين بها من أجل مستوى أفضل من التعليم فيها.

ثانيا: نطاق الدراسة

تشكل مرحلة الروضة بالتعريف الرسمي المرحلة التي تسبق المرحلة الابتدائية، وتشمل حسب الهيكلية الجديدة للتعليم في لبنان والصادرة عام ١٩٩٥، صفين للأطفال من عمر ٤-٦ سنوات، تعتمدها المدرسة الرسمية. أما

---

* دكتوراه في التربية، الجامعة اليسوعية، لبنان. مديرة مؤسسة تالة للوسائل التربوية، وأستاذة في الجامعة الأميركية في بيروت-لبنان.

مرحلة الروضة في المدارس الخاصة فتشمل ثلاثة صفوف للأطفال من عمر ٣-٦ سنوات. إلا أن قراراً لوزير التربية صدر عام ٢٠٠٠، سمح بموجبه للمدارس الرسمية بقبول الأطفال من عمر ٣-٤ سنوات، ما يعني إضافة صف ثالث على هذه المرحلة حتى في المدارس الرسمية. وعليه فإن مرحلة الروضة في لبنان تشمل ثلاثة صفوف للأطفال من عمر ٣-٦ سنوات.

لقد استعملت الأدبيات الرسمية، في فترات مختلفة، عدة مصطلحات للدلالة على هذه المرحلة، منها: الصفوف التمهيدية، ومرحلة ما قبل المدرسة ومرحلة ما قبل الابتدائي. أما الآن، وبعد إنجاز الهيكلية الجديدة للتعليم، عام ١٩٩٥، يستعمل تعبير "مرحلة الروضة."

ومرحلة الروضة هذه تشكل جزءاً مما هو متعارف عليه، في الأدبيات العالمية، بمرحلة التعليم المبكر أو تعليم الطفولة المبكرة، والذي يشمل تعليم الأطفال من عمر ٠-٨ سنوات. ما يعني أنه يشمل بالإضافة إلى صفوف الروضة للأطفال من عمر ٣-٦ سنوات، الصفين الأول والثاني الابتدائي للأطفال من عمر ٦ إلى ٨ سنوات، وصفوف الحضانة للأطفال تحت عمر ٣ سنوات.

وتعتبر مرحلة الطفولة المبكرة مرحلة التأسيس لنمو شخصية الطفل وقدراته المختلفة الذهنية واللغوية والعاطفية والاجتماعية والجسدية، وبشكل خاص قدرته على التعلم ورغبته فيه. فنوعية التعليم والرعاية التي يلقاها الطفل في هذه المرحلة تلعب دوراً هاماً في نمو قدراته وتعلمه، ما يؤثر تأثيراً حاسماً على أدائه التعليمي اللاحق.

فلهذه المرحلة خصوصيتها إذ إنها تهدف إلى تعزيز نمو الطفل وتعلمه بشكل متكامل. وينعكس ذلك في برامجها التعليمية، ووسائلها

وطرائقها، بما فيها تنظيم البيئة التربوية، وطرائق قياس النمو والتعلم، وطبيعة العلاقة بين المعلمة والطفل، وثلاثية الشراكة بين المعلمة والطفل والأهل.

وقد عبّرت منظمة اليونسكو وتبعتها باقي منظمات الأمم المتحدة والمنظمات الدولية عن هذه الخصوصية باستخدامها تعبيراً جديداً لهذه المرحلة، وهو "تعليم الطفولة المبكرة ورعايتها"، للدلالة على شمول التعليم لرعاية الأطفال من النواحي المختلفة العاطفية والاجتماعية والجسدية بالإضافة إلى النواحي الذهنية، وهذا من شأنه أن يميزها عن باقي مراحل التعليم. ولمّا كانت مرحلة الروضة هي جزء من تعليم الطفولة المبكرة، فإن التعليم والرعاية باتا أيضاً متلازمين معها من حيث المفهوم والتوجه.

ولمّا كنا في هذه الدراسة نعالج صفوف الروضة للأطفال من عمر ٣-٦ سنوات، فسنعتمد مصطلح "مرحلة الروضة" و"رياض الأطفال". إلا أننا سنشير إليها كما وردت في الأدبيات العالمية، التي لا تميزها عن مجمل التعليم المبكر، وفي الأدبيات الرسمية اللبنانية، حيث استخدمت تعابير متعددة في فترات زمنية مختلفة كما مر سابقاً.

ثالثاً: أقسام الدراسة

تأتي هذه الدراسة في ثلاثة أقسام كالتالي:

١. القسم الأول

يناقش توجّهات وتجارب عالمية تعطي مؤشرات لما وصل إليه التربويون وصانعو القرار في عدد من دول العالم المتقدم، في حقل رياض الأطفال. وقد جاء في فصلين: الأول عالج التوجهات المرتبطة بالسياسات والاتساع وجودة ونوعية التعليم، والثاني عالج موضوع إعداد المعلمين.

٢. القسم الثاني

ويتضمن دراسات لواقع رياض الأطفال في لبنان في سبعة فصول، تعرض وتحلل ثلاثة فصول منها: الوثائق والإحصاءات الرسمية، كما تعرض الفصول الباقية نتائج الاستقصاء الميداني بالعيّنة حسب المواضيع التالية:

أ. الفصل الأول: يعرض خريطة رياض الأطفال في لبنان من حيث مؤسساتها الرسمية والخاصة وتوزعها على المناطق وعدد تلاميذها ومعلميها وظروفها، ودور الدولة وإداراتها اعتماداً على الوثائق والإحصاءات الرسمية.

ب. الفصل الثاني: يعرض واقع رياض الأطفال من خلال العيّنة المدروسة، يشتمل على عدد الصفوف والشعب، وعدد المعلمين والتلاميذ (الأطفال)، وما توفره المدرسة من غرف ذات وظائف متنوعة، وملاعب وتجهيزاتها، ومساحة غرف الصفوف، والوسائل التربوية المتوافرة فيها وطريقة تنظيمها.

ج. الفصل الثالث: يعرض ويناقش المنهج الرسمي ودلائل المعلم المرتبطة به.

د. الفصل الرابع: يعرض نتائج الاستقصاء الميداني حول تطبيقات المنهج، وبشكل خاص تعليم القراءة والكتابة واللغات.

هـ. الفصل الخامس: يعالج علاقة المعلمة مع الطفل وكيفية قياس نموه وسياسة المؤسسة التعليمية حيال الأطفال ذوي الحاجات الخاصة وطبيعة العلاقة مع الأهل. ويعتمد هذا الفصل على الوثائق الرسمية أولاً، من حيث القرارات الرسمية المتعلقة بالتقييم والعلاقة مع الأهل، ومن ثم على نتائج الاستقصاء الميداني.

و. الفصل السادس: يعرض برامج مؤسسات إعداد معلمات الروضة، الجامعية منها والمهنية في لبنان.

ز. الفصل السابع: يعرض نتائج الاستقصاء الميداني فيما يتعلق بالمعلمات من حيث مؤهلاتهن والمؤسسات التعليمية التي تخرجن منها، وتدريبهن أثناء الخدمة والجهات التي تقوم بهذه المهمة.

٣. القسم الثالث

يتضمن خلاصة لنتائج الدراسة، ومن ثم قضايا وتحديات ارتأى فريق الباحثات أنها تواجه التعليم في مرحلة الروضة في لبنان على ضوء التوجّهات العالمية الواردة في القسم الأول من الدراسة. ويخلص إلى بعض التوصيات من أجل النهوض بالتعليم في هذه المرحلة.

رابعاً: منهجية البحث

تكوّن فريق من ثلاث باحثات، فاديا حطيط وسمر مقلد (أعضاء) ونجلاء نصير بشور (منسقة)، توافقن على كيفية العمل في هذه الدراسة وتوزعن محاور الدراسة فيما بينهن. إلا أنهن عملن كفريق على تحديد نطاق الدراسة وتكوين الاستمارة، فمناقشة الخلاصة والتوافق عليها، بالإضافة إلى التعاون في التحضير والمشاركة لاجتماع مسؤولي مرحلة الروضة في عيّنة من المدارس، كما سيرد لاحقا. شاركت من خارج الفريق د. مريم سليم في وضع الفصلين المتعلقين بالمنهج.

اعتمدت الباحثات في هذه الدراسة، كما ذكرت، منهجين أساسيين: الأول عرض ومناقشة الوثائق والإحصاءات المتوافرة حسب المحاور المذكورة آنفا، والثاني نتائج الاستقصاء الميداني بالعينة بالإضافة إلى منهج ثالث اعتمد مناقشات مع مسؤولين مباشرين عن هذه المرحلة في الإطار الرسمي والخاص، من خلال لقاءات أخذ أحدها شكل طاولة مستديرة.

بالنسبة للمنهج الأول فقد شمل الوثائق الرسمية الصادرة عن وزارة التربية والمركز التربوي للبحوث والإنماء والتفتيش التربوي فيما يتعلق بالقوانين والمناهج والتقارير، كما شمل الوثائق الصادرة عن الجامعات والمهنيات فيما يتعلق بمناهجها الخاصة بتعليم الروضة. وسنعرض فيما يلي الاستقصاء الميداني والطاولة المستديرة.

١. الاستقصاء الميداني

اعتمد الاستقصاء الميداني بالعيّنة على استمارة وُزعت على مسؤولي هذه المرحلة في مدارس رسمية وخاصة في المناطق اللبنانية المختلفة.

أ. العيّنة

تمّ اختيار عينة عشوائية طبقية ثنائية المستوى من بين المدارس التي تحوي أكثر من ١٠ أطفال في مرحلة الروضة. وقد تمّ استثناء المدارس التي تحوي أقل من عشرة تلاميذ في الروضة باعتبار أن المدرسة التي تضم أقل من عشرة تلاميذ في هذه المرحلة من الصعب أن تجعلهم في صف واحد، أو أن تعتبر الروضة مرحلة قائمة بذاتها، لاسيما وأن الحد الأدنى المعتمد رسمياً لهذه المرحلة هو ١٥ تلميذاً للصف الواحد. إلا أنه تبين عند ملء الاستمارات أن هناك عدداً من المدارس التي كان عدد تلاميذ الصف الواحد فيها أقل من عشرة بينما ورد في السجلات أنها تضم عدداً أكبر.

وقد جاءت العيّنة من ٢٩٨ مدرسة شملت المحافظات الست: بيروت، جبل لبنان، الشمال، البقاع، الجنوب، النبطية؛ والقطاعات الثلاثة: الرسمي، الخاص المجاني، والخاص غير المجاني. وذلك حسب التوزيع المعتمد في المركز التربوي للبحوث والإنماء. وتمّ اختيار العيّنة من النشرة الإحصائية للمركز التربوي للبحوث والإنماء للعام الدراسي ١٩٩٩/٢٠٠٠، وبالتالي لم تشمل هذه

الدراسة أية روضة أو صفوف روضة خارج إطار وزارة التربية إذ إن هناك صفوف روضة ضمن مؤسسات أخذت رخصتها من وزارة الصحة كدور حضانة. كما أن هناك صفوف روضة ضمن دور الحضانة التابعة لوزارة الشؤون الاجتماعية، ويبلغ عدد هؤلاء ٣٣ دار حضانة تضم صفوف روضة وتضم ٨٢ معلمة و٢٦٥ تلميذاً من عمر ٢-٤ سنوات.

ولا بد من الإشارة إلى أنه خلال القيام بعملية ملء الاستمارات، تبيّن أن هناك تغييرات في طبيعة بعض المدارس وموقعها كانت أهمها:

١) هناك عدد من المدارس وردت في خانة المدارس الخاصة المجانية، إلا أنه تبين أنها خاصة غير مجانية.

٢) هناك عدد من المدارس قد أُقفلت مرحلة الروضة فيها.

٣) هناك عدد من المدارس قد أُقفل كلياً.

٤) هناك عدد من المدارس لم يتمكن المحققون من تحديد عناوينها.

وبلغ مجموع عدد هذه المدارس ١٤ مدرسة من أصل ٢٩٨، تمّ استبدالها ضمن الفئة والمواصفات والمنطقة نفسها وذلك للمحافظة على تمثيلية العيّنة.

ب. الاستمارة

تمّ وضع الاستمارة من قبل فريق الباحثات وتمّ اختبارها على عيّنة عشوائية صغيرة من مدارس في مناطق وقطاعات مختلفة. وبناءً عليه أُعيدت صياغة بعض الأسئلة لتصبح أكثر وضوحاً، وحُذف البعض الآخر حتى أصبحت الاستمارة بصيغتها النهائية.

تتوجّه الاستمارة إلى المسؤول المباشر عن مرحلة الروضة في المدرسة وهو عادة سيدة، تُسمى إما مديرة مرحلة أو منسّقة مرحلة، وفي حال

غيابها يجيب عن الاستمارة مدير/مديرة المدرسة. ولا بد من الإشارة هنا إلى غياب موقع مدير أو منسّق مرحلة الروضة في المدارس الرسمية. لذا فقد تمّ ملؤها من قبل مدير المدرسة الابتدائية الرسمية التي تتبعها الروضة.

عند صياغة الاستمارة اعتمدت الأسئلة المقفلة إلا في بعض الأسئلة التي أردنا منها موقفاً محدداً من دون إيحاء من الباحثين، لاسيما في أمور تتعلق بخصوصية التعليم في هذه المرحلة. ولما كان العديد من المسؤولين أو المدراء الذين أجابوا على الاستمارة غير مختصين بهذه المرحلة التعليمية فقد كانت إجاباتهم غير دقيقة أو غير معبّرة عما يتم في المدرسة.

تتألف الاستمارة من ٦١ سؤالاً في ستة أقسام:

١) القسم الأول: تضمّن بيانات أساسية حول المدرسة شملت اسمها ومنطقتها والمؤسسة التي تتبعها والقطاع الذي تنتمي إليه، والمراحل التعليمية التي تشملها مع عدد تلاميذها، ومن ثم القسط السنوي لتلميذ الروضة.

٢) القسم الثاني: تضمّن بيانات عامة حول صفوف الروضة وتشمل وجود غرفة نشاطات مشتركة وغرفة خاصة بالعناية الصحية، وملعب خاص بالروضة مع مساحته ومحتوياته، ومساحة غرف الصفوف وتنظيمها وكيفية جلوس الأطفال فيها، وعدد شعب صفوف الروضة.

٣) القسم الثالث: تضمّن بيانات حول الوسائل التربوية المستخدمة بالروضة ومن يعدّها.

٤) القسم الرابع: تضمّن بيانات حول المعلمات ومساعدات المعلمات شملت: العمر ونوع العمل والمستوى التعليمي والخبرة المهنية للمعلمات ومساعدات المعلمات في الروضة، وتدريب معلمات الروضة ومن يقوم بهذه المهمة.

٥) القسم الخامس: تضمَّن بيانات حول منهج الروضة شملت مدى التزام الروضة بالمنهج الرسمي واللغات التي تدرَّس، وسنوات بدء تعليم القراءة والكتابة، واعتماد كتب مدرسية أو إعداد مشاريع، والموقف من اللعب كطريقة تربوية. ومن ثم عملية تقييم أداء الأطفال وقياس نموهم، وسياسة المدرسة حيال الأطفال ذوي الحاجات الخاصة.

٦) القسم السادس: تضمَّن بيانات حول العلاقة بين المدرسة وأهالي التلاميذ والمشكلات التي تعترضها.

ج. العمل الميداني

قام بملء الاستمارات فريقين من المحققين توزعوا على المناطق اللبنانية كافة بإشراف فريق الباحثات. وقد واجه هؤلاء صعوبات مختلفة أهمها:

١) عدم تعاون عدد من إدارات المدارس ورفضهم أحياناً الإجابة على الأسئلة إلا بعد لأي.

٢) التأخير في ملء الاستمارات وعدم التزام الإدارات بمواعيد تحددها هي لإعادة الاستمارة. ما اضطر المحققين إلى الذهاب عدة مرات إلى المدرسة الواحدة لملء استمارتها، وقد وصل أحياناً عددها إلى سبع مرات. وكان هذا الأمر مضنياً لاسيما عندما يتعلق بمدرسة توجد في منطقة نائية.

٣) صعوبة التوصل لبعض عناوين المدارس في المناطق النائية لاسيما في البقاع والشمال، حيث اضطر المحققون للذهاب عدة مرات قبل التعرف إلى المدرسة. وفي حالتين كانت تلك المدارس قد أقفلت وتحولت إحداها إلى معمل (البقاع).

هذا الأمر جعل فريق الباحثات يستعين بفريقين من المحققين مما أطال الفترة التي تم ملء الاستمارة فيها لأكثر من عشرة أشهر.

ولا بد من الإشارة هنا إلى أن الصيغة النهائية للإستمارة واختيار العينة وكل العمليات المتعلقة باستخلاص الجداول قد قام بها الدكتور مروان حوري مشكوراً مع فريق مساعد.

د. بيانات الاستمارة

عند تصميم الجداول تم اعتماد ثلاثة عوامل بناء على إحصاءات المركز التربوي للبحوث والإنماء تبين أن لها دلالات واضحة على نتائج البحث. وهذه العوامل هي:

١) قطاع التعليم الذي تنتمي إليها المدرسة (رسمي، خاص مجاني وخاص غير مجاني).

٢) المحافظة التي توجد فيها المدرسة.

٣) قيمة القسط السنوي لتلميذ الروضة في المدرسة.

٢. الطاولة المستديرة

بعد الانتهاء من تحليل نتائج الدراسة الاستقصائية دَعى فريق الباحثات المسؤولين المباشرين عن هذه المرحلة في عدد من المؤسسات الخاصة المجانية وغير المجانية، والمسؤولين عنها في وزارة التربية (وحدة الروضة) والمركز التربوي للبحوث والإنماء، إلى طاولة مستديرة حضرها اثنا عشر مسؤولاً عن هذه المرحلة في مؤسسات تعليمية يضم معظمها عدداً من المدارس والروضات بالإضافة إلى عضوتي وحدة الروضة في وزارة التربية. تمّ خلال اللقاء عرض نتائج الدراسة من قبل الفريق، تلاه نقاش بين هؤلاء الممثلين بناءً على أسئلة طرحها الفريق ما ساهم في توضيح هذه النتائج وتفسيرها على ضوء الممارسة الفعلية لهؤلاء المسؤولين. وسنتطرق إلى

بعض القضايا التي أثيرت في الاجتماع في القسم الأخير من هذه الدراسة حول القضايا والتوجهات.

أ. أسئلة للنقاش

١) إلى أي مدى تتابع المدارس المستجدات في هذا الحقل؟ وكيف ؟

- حضور مؤتمرات عالمية
- اشتراك بهيئات عالمية
- اشتراك بمجلات متخصصة

٢) ماهي المشكلات المتعلقة بالمبنى والتجهيزات؟

٣) ماهي الملاحظات الأساسية على المنهج الرسمي؟

٤) هل هناك مشكلة في تعليم اللغة/اللغات؟

٥) هل هناك مشكلة في إيجاد معلمات مؤهلات أو تدريب المعلمات أثناء الخدمة؟ وما هي المعلومات أو المهارات التي تجدون أنكم بحاجة لها أكثر؟

٦) كيف تصفون العلاقة مع الأهل، هل من مشكلات؟

٧) ماهي سياستكم بالنسبة للأطفال ذوي الحاجات الخاصة؟

٨) هل أنتم راضون عن الطريقة التي يتم فيها قياس وتقييم نمو وتعلم الأطفال؟

٩) كيف تصفون علاقتكم بالأجهزة الرسمية/الوزارة/المركز التربوي؟

١٠) ماهي اقتراحاتكم لتطوير العمل في حقل رياض الأطفال في لبنان؟